الباب السادس

في ذكر انتقام الله من الخَلْق إذا استهانوا بالحق

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾[1]. ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾[2]. وقال النبيّ ﷺ: «عُمَّالُكم أعمالُكم، كما تكونونَ يُوَلَّى عليكم».

وقال النبيّ ﷺ: «يقولُ الله عزَّ وجلَّ: أنا الملكُ الدَّيَّان، قلوب الملوكِ بيدي، فأيُّ قومٍ أطاعوني جعلتُ قلوبَ الملوكِ عليهم رحمةً، فإذا رأيتم منهم ما تكرهون فلا تميلوا إليهم بالمعاصي، ولكن توبوا إلي أعطفْ قلوبهم عليكم بالرحمة».

وقال كعب: لكل زمان ملوك، فإذا أراد الله بقوم خيراً بعث فيهم مصلحيهم، وإذا أراد بقوم سوءاً بعث فيهم مترفيهم. قال: ولما نظر (دانيال) إلى صنيع (بختنصر) بكى، وقال: اللهم بما كسبتْ أيدينا وبالعار الذي أتينا سلطت علينا من لا يرحمنا ولا يعرفك، قال: فأوحى الله تعالى إليه: إذا عصاني من يعرفني سلَّطْتُ عليه من لا يعرفني.

وقالَ رسول الله ﷺ: إذا أراد الله أنْ يخيفَ عبدَه سَلَّط عليه مَن لا يرحَمُه، وقال ابن عبدالعزيز: الحَجَّاجُ بلاءٌ وافقَ الخَطيئة.

---

(1) الزخرف: الآية (55).

(2) الأنعام: الآية (129).

وقال جريرُ بن عبد الله: ما مِن قومٍ يُعْمَلُ فيهم بالمعاصي هم أعز وأكبر ممن يعملها ولا يغيرونها إلا عَمَّهم الله تعالى بعقابه.

وقال مالك بن دينار: سمعتُ الحجاجَ في خطبته يقول: إنكم كلما أحدثتم ذنباً أحدث الله لكم مِن سلطانِه جَوْراً، وشوكاً وعقوبةً.

وقال مجاهد: يقول الله: بعزَّةِ مُلْكي وموضع كُرْسِيِّي مِن عرشي، لتأمُرُنَّ بالمعروف: ولَتَنْهَونَّ عن المنكر، أولأؤمِرَنَّ عليكم ملكاً صَعْباً لا يرحَمُ صغيرَكم، ولا يُكرم كبيرَكم، ثمَّ لتَدعُونَّ عليه، فلا يُستَجَابُ لكم.

وقيل: تذاكروا المهديَّ عند ابن سيرين فقال: لا تنظروا خروجه، فإنَّه لا يخرجُ حتى يُقْتَلَ مِن كُلِّ تسعةٍ سبعةٌ.

وقال قتادة: ناجى موسى ربَّه، فقال: إلهي ما علامة رضاكَ مِن سَخَطِكَ، قال: إذا استعملتُ عليكم خياركم، فهو علامةُ رضايَ عنكم، وإذا استعملتُ عليكم أشراركُم، فهو علامة سخطي عليكم.

وقالَ رسولُ الله ﷺ: إذا استقامَ العبادَ عطَفَ اللهُ بقلوب ملوكهم عليهم، فعَلَيكُم أنفسَكُم لا يَضُرُّكم مَن ضلَّ إذا اهتديتُم، قال: وأوحى الله تعالى إلى يُوشع بن نون: إني مهلكٌ مِن قومك أربعين ألفاً من خيارهم، وستين ألفاً مِن شرارهم، قال: يا ربِّ هؤلاءِ الأشرارُ فما بالُ الأخيارِ؟ قال: إنهم لم يَغضَبوا لِغضبِي ووَاكلوهم وشاربوهم.

وقال (بختنصر) لدانيال: ما الذي سلَّطني على قومِكَ؟ قال: عظيم خطيئتِكَ، وظُلْمُ قومي أنْفُسَهُم.

الحكاية

وكتب رجل إلى بعض الحكماء كتاباً يشكو جَوْرَ السلطان ونَكْبَتَهُ، فكتب إليه أما بعد: فإنه مَنْ عمل بمعصية الله لا ينبغي له أن يشكو عقوبته، ومَنْ تَعَرَّض لسخط الله فليس له أن يَتَأَبَّى نقمة الله.

obeikandl.com